الحجاز في عيون الرحالة الإنجليزى جوزيف بيتس دايكسترا
"مكة والمدينة ورؤية الآخر"
(١٠٩٠هـ / ١٦٨٠م)

دكتور/ محمد معيض عبد الله العازمي

تعتبر الرحلات التي اعتاد الرحالة القيام بها منذ القدم من أقدم الأنشطة على ظهر الأرض فهى بما تنطوى عليها طبيعتها من حركة فى اجتهاد ومتعة لا تقام بلا هدف وكل رحلة بالضرورة أن يكون لها هدف وفى كل رحلة بالضرورة أن يكون لها هدف ونتائج سواء كانت سلبية أو ايجابية وقد حاول الإنسان منذ نشأته على سطح الأرض واكتشاف أسرارها والانتقال من مكان لاخر بحثا عن حياة أفضل فأصبحت حياته رحلة دائمة لا تتوقف الا على تخوم الأبدية.(١)

والرحالة حين يروى ما رآه من جميع نواحى الحياة أو يكاد ، اذ يتوفر فى روايته ما يهم المؤرخ والجغرافى وعالم الاجتماع ومؤرخى الأديان، والرحلات تعتبر منبع ثروة لمختلف العلوم وسجل حقيقى لمختلف مظاهر الحياة لكون الرحالة يحرصون على تدوين المشاهدات فى أغلب الأحيان نتيجة اتصاله المباشر بالطبيعة والناس والحياة خلال رحلته وبالتالى يمثل دور الناقل لكافة مظاهر الحياة (٢) ، وحسب طروحات أخرى كتابات الرحالة، مهما كان فيها من ذاتية كاتبيها، تعد مصدرا تاريخيا يعكس ما رأته العين وسمعته الأذن ولمسته اليد أو القدم. فالرحالة الذي تصلنا أدبياته هو الشاهد الوحيد الذي تجد عنده التاريخ حيا، فشهادته مرآة الزمن في اللحظة التاريخية التي زار فيها المكان، والتقى فيها السكان. ولا يمكن أن يجد الباحث في الوثائق الرسمية ما يجده عند الرحالة من وصف للمشاعر والأحاسيس والانطباعات، وقراءة الوجوه، وهذه من الجوانب الإنسانية الغائبة في كثير من الكتابات التاريخية. ومتى ما أخضعت كتابات الرحالة للنقد العلمي صارت آمنة الاستخدام، لأن المؤرخ في هذه الحالة يجنب ذاتية الرحالة ويستقي

(١) عبد العزيز ابراهيم: روايات عربية عن رحلات غربية الى الجزيرة العربية ١٥٠٠- ١٨٤٠ ، دار الساقى، ٢٠١٣م، ج١، ص ٢٠٠٧ ، ص والرحلة اصطلاحا هى الخروج من الموطن بهدف السياحة فى الإنحاء المعمورة من أجل أغراض متعددة، أما فى اللغة فهى مأخوذة من الفعل رحل والرحلة اسم للارتحال للمسير يقال دنت رحلتنا ورحل فلان وارتحل وترحل ، والرحالة كشداد العالم بالسفر المجيد له . انظر : ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون،ج٢،ص٤٩٧؛ابن منظور: لسان العرب المحيط ،إعداد يوسف خياط المجلد الأول،ص١١٤٢.

(٢) فايز إسكندر: مصر فى كتابات الحجاج الروس فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين،دار الفكر الجامعى،١٩٨٨،ص٢.

من موضوعيته ما يفيد. ولعل أروع ما يقدمه الرحالة لنا هو إمساكه باللحظة التاريخية وقت حدوثها لتبقى حية إلى أن تصل إلينا، تماما كما تفعل كاميرا المراسل الصحفي في هذه الأيام [١] .

ومما يجب ذكره أن كتابات الرحالة الأوربيين لها قيمة كبيرة ، حيث إنها تفصح عن جوانب مهمة فى الأماكن المقدسة ، إلا أن هؤلاء الرحالة الذين أقاموا في تلك الأماكن أياماً معدودة يصدرون أحكاماً سطحية لا تعتمد على المشاهدة وبهذا تتوالى الأخطاء باستمرار في كتابات الرحالة [٢] .

وتتراءى أوصاف وتقاليد الشعوب فى تعليقات الرحالة والحجاج فبمجرد عودتهم إلى بلادهم يخبرون عن الأحداث التى صادفوها والطرق التى سلكوها وكافة الغرائب التى صادفوها ولم تكن معروفة فى بلادهم والعادات والتقاليد الغير مألوفة بالنسبة لهم ، وكان الماهرين منهم يدونون مشاهداتهم ويحرصون على أن ينفعوا غيرهم بتجاربهم فيصفون رحلاتهم تسجيلا لفضلهم وهدايه لغيرهم ولفت النظر أول الأمر الى مدى أهمية الأماكن التي زاروها.[٣]

وأحيانا ما كان بعض هؤلاء الرحالة وخاصة الأجانب منهم يقومون بأعمال التجسس لحساب بلادهم ومع ذلك يحسب لهم تحملهم مشاق السفر والأخطار والأهوال التى لاقوها وتركوا لنا عن رحلاتهم رسائل ثمينة ومعلومات قيمة تعد من أوثق المصادر التاريخية ، أما الإشكالية الأكبر فتتمثل فى الصورة التى رسمها بعض الغربيين المعاصرين المتحاملين على العرب [٤]

لقد حظيت شبه الجزيرة العربية منذ القدم ولازالت حتى الآن جاذبة للرحالة والحجاج بسبب أهميتها الدينية والأثرية فقد كانت عراقة وأصالة التاريخ فى شبه الجزيرة العربية من العوامل التى دفعت فى العصر الحديث الرحالة الأوربيين الترحال اليها والاهتمام الغربى الواسع بشبه الجزيرة العربية لا يعود بالأساس إلى أنهم هم الذين نشروا الاسلام فقط بل تداخلوا فى الآخرين حتى ذابو فى عقيدتهم ولغتهم وأشكالهم ، وقد اعتاد الرحالة بمجرد عودتهم إلى بلادهم على تسجيل الطرق التى سلكوها حين انتقلوا من مدينة الى أخرى وكيفية مواجهة مصاعب الطريق ومشقاته وهادفين من رحلاتهم على نفع غيرهم

(١) جمال حجر: الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨ ، المقدمة .

(٢) نبيل عبد الجواد سرحان : بحوث في تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، التركى للطباعة ، ٢٠١٤ ، ص ١٥٨ .

(٣) فايز اسكندر: القاهرة زمن المماليك الجراكسة في عيني الرحالة الألماني أرنولد فون هارف، دار النهضة العربية،٢٠١١م، ص١.

(٤) جمال حجر : في مناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان كيف رصد الرحالة الغربيون أهل الجزيرة العربية وهم يتعاملون مع الرقيق ، مجلة تراث ، إبريل ، ٢٠٠٩ .

وإظهار أهمية البلاد التى زاروها وبالتالى كانت مصنفاتهم خير مرشد لكل من يسعى لزيارة لشبه الجزيرة العربية.[١]

وفى العصر الحديث نشطت رحلات الغربيين الى شبه الجزيرة العربية ، ولم تكن رحلاتهم عملاً فردياً بل كانت مهمات منظمة فى شكل إستعمارى محكم مثل بروتون الذى صرح " لقد زودتنى الجمعية الجغرافية بسخاء بما يتيح لى السفر " ومنهم من ينتحل الشخصية الاسلامية لتحقيق ماربه فيتمكن مالم يكن أهل البلاد ليتمكنوا منه لو عرفوا حقيقته مثل فارتيما يونس المصرى [٢] ، فقد تنكر جوزيف بيتس في زى الحاج يوسف ، وفارتيما بزي الحاج يونس المصري ، وباديا بزي على بك العباسي ، وتنكر بروكهارت بزي الحاج عبد الله ، وليون بزي علي بك العباسي ، وتنكر بوركهارت بزي الحاج عبد الله ، وليون روش بزي محمد عبد الله ، وبيرتون بزي أحد الدراويش حاج من أفغانستان حتى أنه دهن جسمه بعصير الجوز ، وعرض نفسه للشمس طويلاً ليبدو أسمر اللون شاحب البصرة مثل الأفغان تماماً [٣] .

وأسهمت كتابات الرحالة فى تعريف الغرب بالشرق الاسلامى عندما قدمت صور وتقارير عن أحوال العالم الإسلامى ساعدت على تسهيل مهمة المستعمرين وساعدتهم على بلوغ هدفه وتنفيذ مخططهم كما أن البعض من الرحالة قدموا خدمات جليلة للمناطق التى ارتادوها من إبراز لمعالمها والكشف عن ما خفى من آثارها والتعرف على طبيعتها . [٤]

ومن أشهر الرحالة الغربيين الذي ارتحلوا الى شبه الجزيرة العربية جوزيف بيتس ومن هنا وقع اختيارى على بحثى الموسوم بعنوان " الحجاز فى عيون الرحالة الانجليزى جوزيف بيتس دايكستلر "وترجع أهمية رحلة جوزيف بيتس أنه يعتبر أول إنجليزي وثاني أوروبي يزور بلاد الحجاز في العصر الحديث وتميز بيتس عن فارتيما الذى سبقه بأنه صغير السن واهتم بذكر التفاصيل التي لم يهتم بها فارتيما وأفاض في ذكر شعائر الحج.

---

(١) عبد العزيز ابراهيم: روايات عربية عن رحلات غربية الى الجزيرة العربية، ص ٩٥.

(٢) فارتيما : رحالة إيطالي ولد في مدينة بولونيا كان جنديا قبل قيامه برحلاته عرف باسم الحاج يونس المصري زار مصر والشام و الحجاز واليمن والهند وإندونيسيا وكان يعمل لحساب البرتغال . لمزيد من التفاصيل انظر:

Varthema,**The travels of ludovico di Varthema in Egypt ,Syria, Arabia desert Arabia flix in Persia ,India and Ethiopia**, translated into English by W.,Jones,London,١٩٤٥pp.١٠-١٥.

(٣) نبيل عبد الجواد سرحان : بحوث في تاريخ شبه الجزيرة العربية ، ص ٢١٩ .

(٤) فايز اسكندر :القاهرة زمن المماليك الجراكسة في عيني الرحالة الألماني أرنولد فون هارف ، ص٤ .

على أن جوزيف بتس يُعد أول وأصغر رحالة إنجليزى يزور مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وذكر الدارس والمترجم لرحلته " عبد الرحمن عبد الله الشيخ " أنه ثانى أوربى يقوم بتلك الزيارة ، ولعله قصد بقوله ثانى أوربى الإشارة إلى أن أول رحالة هو فارتيما – كما هو الزعم – [١] ، وهو أول إنجليزي فى التاريخ في التاريخ الحديث يزور الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة إضافة إلى كونه أصغر رحالة أوربي زار تلك الأماكن إذ لم يتجاوز عمره أثناء رحلته اثنتين وعشرين سنة [٢] .

أما بخصوص بطل الدراسة : فهو جوزيف بيتس هو شاب إنجليزى كان قد أُسر فى البحر الأبيض وهو فتى لا يتجاوز السابعة عشرة [٣] ينتمى جوزيف بتس الى أسرة انجليزية كانت تقطن مدينة إكستر الانجليزية فوالده أحد رجال الكنيسة الانجليزية يدعى حنا بيتس انشق عنها بعد ذلك لخلاف دينى وقد امتلكت أسرة جوزيف بيتس بعض الأملاك البسيطة فى مدينة ديفون واكستر و كنت.[٤]

ولد جوزيف فى مدينة اكستر واختلف فى تاريخ ميلاده ذكر البعض أنه ولد فى عام ١٦٦٢م بينما ذكر البعض ميلاده عام ١٦٦٣م وعلى الأرجح أنه ١٦٦٣م.[٥]

التحق بأحد مدارس مدينة إكستر ولم ينل إلا قسط بسيط من التعليم حيث أصبح قادرا على القراءة والكتابة فقط ولكنه تعلم اللغة العربية والتركية بعد ذلك أثناء وقوعه فى الأسر، كان محبا للسفر والمغامرة منذ الطفولة فضلاً عن رغبته الملحة لمعرفة العالم مما دفعه الى مغادرة انجلترا[٦] .

---

(١) على بن إبراهيم النملة : المستشرقون من الانعتاق إلى الاعتناق " دراسة فى إعلان بعض المستشرقين إسلامهم " ، بيرسان ، الرياض ، ٢٠٢٠ ، ص٦٨ ؛ وراجع أيضاً : إسلام عبد الله عبد الغنى غانم : مكة فى الدراسات الاستشراقية دراسة فى أنثربولوجيا الاستشراق لمكة المكرمة ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، المجلد ٩ ، العدد ٣ ، ديسمبر ٢٠١٨ ، ص ١٣ .

(٢) نبيل عبد الجواد سرحان : بحوث في تاريخ شبه الجزيرة العربية ، ص ٢٢٢ .

(٣) حاشية محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف على كتاب : المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٢٧ .

(٤) جوزيف بيتس:**رحلة الحاج يوسف الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة**،ترجمة عبد الرحمن الشيخ،الهيئة العامة للكتاب،١٩٩٥،ص ٧ .

إكستر: مدينة إنجليزية تقع فى مقاطعة ديفونشير تطل على نهر إكس بما يقرب من ١٦ كيلو على مدخل النهر فى القنال الانجليزى وكانت اكستر مركز لقبيلة بريطانية وقد استولى عليها وليم الفاتح عام ١٠٦٨م وتشتهر بأنها مدينة صناعية وزراعية وتتميز بمنتجاتها الجلدية. انظر:

Moore,**The penguin encyclopedia of Places**,Middlesex,١٩٧١,p.٢٥٧.

ديفون: مقاطعة تشكل الجزء الجنوبى الغربى من الجزيرة البريطانية يحدها غربا كورنول وشرقا دوروست وسومرست وتقع بين قناة بريستول شمالا والقنال الانجليزىجنوبا واعتـرف بهـا كمقاطعة فى القرن الثامن الميلادى.انظر:

Moore, **encyclopedia of places**,P.١٢٧.

كنت: مقاطعة تقع فى جنوب شرق الجزيرة البريطانية بين مصب نهر التيمز شمالا والقنال الانجليزى جنوبا خضعت الى مرسيا حتى فتحها الملك إجبرت (٨٠٢–٨٣٩م)عام ٨٢٥م. انظر:
Moore,**encyclopedia of places**,p.٣٨٨.

(٥) جوزيف بيتس: رحلة الحاج يوسف،ص ٧ . راجع أيضا:

Auchter,P.,**EncounteringIslam Joseph pitts an English slave in ٧th century Algiers and Mecca**,London,٢٠١٢,p.١٢.

(٦) جوزيف بيتس:رحلة الحاج يوسف،ص٨ .راجع أيضا:

Foster,W.,**The red sea and adjacent countries at the close of seventeenth century**,London,١٩٩٩,p.٦٧.

فى ١٦٧٨م فعمل بحارا على ظهر إحدى السفن تسمى سبيدول المملوكة لأحد البحارة الإنجليز ويدعى جورج تايلور، وقام برحلات عديدة وأثناء عودته من رحلة إلى نيوفاوندلاند وقعت سفينته فى الأسر على مقربة من السواحل الأسبانية على أيدى قرصان جزائرى ، وكان رئيس القراصنة هولندى الجنسية ، واستوا أيضاً على ثلاث سفن إنجليزية أخرى ، أصيب بتس بالرعب حيث وصف القراصنة أنهم مخلوقات مفترسة متوحشة ، وخشى أن يقتلوه ثم يأكلوه، واقتيد الى الجزائر وعرض على الداى الجزائرى وبيع فى سوق العبيد لأحد الساده الجزائريين وكان يعامله معاملة سيئة وكان يضربه على قدميه ضرباً مبرحاً وما يتركه الا ليسترد وعيه ثم يعاود ضربه مرة أخرى ، ولكن لم يحاول أن يدخله الإسلام ، وذلك وفقاً لرواية بتس(١)، حتى أن إحدى الدراسات أطلقت عليه إسم " بيتس أسير قراصنة الشمال الإفريقى" (٢).

وحسب إحدى الدراسات الرصينة فلم تكن تلك الدول المغاربية تعتنى بأمر عتق الرقاب ، فقد كانت تسير وفقاً لمبدأ إما مناً أو فداء (٣) .

وبعد فترة تم بيعة الى رجل آخر وقرر أن يدخله إلى الإسلام ولو بالقوة ومع تعرضه للضرب المبرح اضطر الى النطق بالشهادتين بعد رفع إصبع السبابة اليمنى – وفقاً لروايته – واحتفل بإسلامه ووضعت العمامة على رأسه وحمل العصا بيده اليمنى احتفل باسلامه وركب على حصان وسار فى موكب وسط هتافات إلى الداى حيث أشهر إسلامه، ولكن تم قتل هذا الرجل ، فباعته أرملته الى سيد آخر طاعنا فى السن عطوفا وكان يعامله بطيبة وقرر أن يقوم بأداء فريضة الحج ويصطحب جوزيف بيتس معه مقررا أن يعتقه(٤).

---

(١) جوزيف بيتس:رحلة الحاج يوسف،ص٨ راجع أيضا:عبد العزيز ابراهيم،روايات عربية عن رحلات غربية الى الجزيرة العربية،ص ٩٣ ؛ أغسطس رالى : مكة المكرمة فى عيون الرحالة النصارى ، ترجمة : حسن غزالة ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ ، ص ٩٩ .

الداى: كلمة تركية تعنى الباشا أو الحاكم أو الباشا الممثل عن السلطان العثماني وشبه مستقل عن السلطان واكتفى السلطان بإصدار الفرمانات فقط وقد بدأ نظام الدايات في الجزائر في أواخر القرن السابع عشر الميلادي. ولمزيد من التفاصيل انظر: أبو القاسم سعد الله :تاريخ الجزائر الثقافى،الجزائر،ص١٣٧.

(٢) عبد العزيز ابراهيم: روايات عربية عن رحلات غربية الى الجزيرة العربية،ص ٩٢ .

(٣) عبد العزيز ابراهيم: روايات عربية عن رحلات غربية الى الجزيرة العربية،ص ٩٣ .

أما فى شبه الجزيرة العربية فقد كان الرقيق يتقاسمون مع سادتهم غنم الحياة ورغد العيش، ويتمتعون بميزات قد لا يتمتع بها الأحرار. فامتلاك الرقيق عند البدوي يعد أحد مظاهر المفاخرة والاعتداد بالذات، ورمزاً للمكانة والهيبة . فهم يرافقونه في تجواله في زي مناسب حاملين أسلحة مزينة ، تعكس هيبة السيد، ولابد أن ذلك الحرص على المظهر العام كان يكلفه الكثير من المال.

Garrett E. De Jong, Slavery in Arabia, the Moslem World, vol. ٢٤April ١٩٣٤) pp. (١٢٦-١٤٤ ، ومن الجدير بالإشارة وبينما فشلت جهود بريطانيا على مدى قرن ونصف من الزمان في محاربة الرق، نجحت الثقافة الإسلامية في تحرير جميع العبيد في المجتمعات الإسلامية، وإن تم ذلك ببطء ودون إحداث هزة اقت صادية أو اجتماعية . آلاف كانت أصولهم رقيقا، يعيشون بيننا الآن دون تمييز ، ويتمتعون بكامل حقوق الإنسان المسلم دون تفرقة . وهذه هي النتيجة التي أرادها الإسلام ورغبنا فيها . على هذا النحو انتهى الرق القديم، واختفت معه بقايا الرقيق . فكيف رأنا الغرب هنا في الجزيرة العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ونحن نتعامل مع الرقيق ؟! . انظر : جمال حجر : في مناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان كيف رصد الرحالة الغربيون أهل الجزيرة العربية وهم يتعاملون مع الرقيق ، مجلة تراث ، إبريل ، ٢٠٠٩ .

(٤) Auchter, P., **Encountering Islam Joseph pitts**,p.٧.

ومهما يكن من أمر فخلال تلك الفترة وجد جوزيف بتس وسيلة لمراسلة أسرته ، وأبلغ والده بما حدث وإجباره على دخول الإسلام ، وأرسل له والده رسالة مفادها أن يظل على دينه مهما حدث ، ولكنها لم تصل إلا متأخرة ، وقد أرسل بيتس رسالة لوالده أنه كان يفضل الموت صغيراً على أن يمرغ رأس والديه فى التراب نتيجة لإسلامه ، وقد أخبره والده أن استشار كثير من القساوسة ، وأكدوا له أنه لم يرتكب الذنب الذى لا يغتفر أبداً [١] .

وحسب أحد المتخصصين الذى قال : وعلى المؤرخ وهو يتعامل مع مثل هذه القصة الدرامية لاستخلاص حقيقة علمية أن يعمل على توظيف النقد الأدبى لخدمة النص التاريخى من خلال المنهج السردى فى النقد التاريخي[٢] .

ويمكن أن نعلق على هذا الطرح من خلال نقاشات " د : على النملة " بأن بتس تم قسره سيده على الإسلام ولم يسلم فى باطنه يعنى أنه منافق وأخذه إلى الحج معه [٣] ، وإن كان دكتور " النملة " ينقل عن إحدى الدراسات أن بتس اعتنق الإسلام دون إكراه من سيده الطاعن فى السن فأعتقه بعد أن أدى الحاج يوسف فريضة الحج [٤] ، وإن كان يقر فى موضع آخر بأن بتس لم يستطيع أن يُخفي كرهه للمسلمين [٥] ، وعلى الرغم من الفترة التى عاشها بين المسلمين ، إلا أنه كان يكن كرهاً عظيماً للمسلمين حسب تعبير أحد الباحثين [٦] .

بداية الرحلة:

خرج جوزيف بيتس مع سيده وواصل السير من الجزائر ووصل إلى الإسكندرية وظل هناك ما يقرب من عشرين يوما وهناك تعرض سيده للمرض وأعطاه مالاً وفيراً يستخدمه فى إكمال الرحلة اذا توفى وأخبره أنه سيعتقه ولكن سيده ما لبث أن شفى واسترد وديعته ، وبعد ذلك اتجهوا الى رشيد وهناك رأى مصب رشيد وأشار الى أن لون الطمى يغير من لون البحر المتوسط وأنه تذوق ماء النيل العذب وأبحر عبر نهر النيل الى القاهرة وتطرق الى ظاهرة النهب واللصوصية التى تتعرض لها قوافل الحجاج ،حيث أن قطاع الطرق يعلمون أن الحجاج يحتفظون بأموالهم وذكر بيتس أن

---

(١) أغسطس رالى : مكة المكرمة فى عيون الرحالة النصارى ، ص ١٠١ .

(٢) عبد العزيز ابراهيم،روايات عربية عن رحلات غربية الى الجزيرة العربية،ص ٩٤ .

(٣) حاشية محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف على كتاب : المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٢٧ .

(٤) على بن إبراهيم النملة : المستشرقون من الانعتاق إلى الاعتناق ، ص ٦٨ .

(٥) على بن إبراهيم النملة : المستشرقون من الانعتاق إلى الاعتناق ، ص ٦٧ .

(٦) نبيل عبد الجواد سرحان : بحوث في تاريخ شبه الجزيرة العربية ، ص ١٦١ .

الخوف قد اعتراهم ولكنهم استخدموا الأسلحة النارية فولوا هاربين ، وتعرض بعد ذلك الى المجتمع المصرى من حيث عاداتهم وتقاليدهم والملابس التي يرتدونها ،واهتم بذكر أهم البضائع لدى المصريين مثل المنسوجات الكتانية والأرز والغلال المختلفة والسكر والفاكهة كالتفاح والكمثرى والكريز والشمام، ومن الأشياء التي أثارت فضوله سوق النخاسة حيث كان يباع الرقيق فضلا عن إشارته الى ظاهرة الغش التجارى ، فضلاً عن ذلك فقد أعجب بتس بطرقة عقاب التاجر الغشاش حيث يتم مصادرة البضائع وضربه على قدميه وتناول أيضا ظاهرة البغاء فى مصر وانتشار بيوت الدعارة حيث طالب بفرض التشريعات الى تحمى المجتمع من هذا الفعل وذكر أن النساء سافرات الوجوه فى الشارع ويرتدين أفخم الملابس واحيانا ملابس تظهر أكثر مما تخفى ويجلسن عند بيوت الدعارة وتعجب من ذلك واهتم بالطبقات المهمشة فى المجتمع المصرى كالنصابين والمحتالين وأخيرا الطواشية.(١)

الرحلة الى مكة:

أبحرت القافلة من مصر عبر البحر الاحمر من ميناء السويس واتجهت الى رابغ وهناك غادر أكثر الحجاج الباخرة حيث ارتدوا ملابس الإحرام وكان سيده مسنا لايتحمل حرارة الجو وهو فى ملابس الاحرام ففضل أن يذهب الى جدة فى الباخرة ثم الى مكة المكرمة أطهر بقاع الارض.(٢)

مكة المكرمة فى عيون جوزيف بيتس:

يمكن وصف رؤية بتس لأوضاع مكة المكرمة أنها رؤية فوقية تعكس أبعاد نظرة الآخر – فلم يظهر بتس استحسانه لما يراه فقد ذكر أن مكة مدينة قاحلة صغيرة وقديمة وتقع فى وادى غير ذى زرع تحيط به الجبال من كل جانب تبعد عن ساحل البحر الأحمر حوالى يوماً واحدا ولا يمكن الدخول اليها عبر منافذ أودية تشق الجبال وقد لا حظ أن مكة غير محاطة بسور فهى طبوغرافيا لاتحتاج اليها وبالتالى فليس لها بوابات

(١) جوزيف بيتس: رحلة الحاج يوسف،ص٣٠-٣١.

الطواشية: مشتق من الفعل طوش وهى خفة العقل ويقال أيضاً طوش بتشديد الواو وفتحها تطويشاً إذا مطل غريمه ، والتطويش هو جب الذكر ، وفى المعاجم التركية كلمة طواشى أى خادم أغا حرم أغاسى أى المسئول عن الحريم وحفظهم ، أما كلمة طواشى إصطلاحاً فهى الخصى وكانت تستخدم فى مصر بمعنى رتبة حربية فى الحرس ونهاية معنى الطواشى يختلف حسب موقعها فى النصوص التاريخية ، فهى تارة بمعنى فارس ، وتارة أخرى بمعنى خادم ، وتطلق على أشخاص خصيان وغير خصيان . راجع : الزبيدى : تاج العروس ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ج١٧ ، ص ٨٨٨ ؛ مصطفى دويدار : الأمراء الطواشية فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول ، دار العالم العربى ، القاهرة ، ٢٠١٥ ، ص ٢١ – ٢٢ .

(٢) جوزيف بيتس:رحلة الحاج يوسف، ص٤٤ راجع أيضاً:

Wolf,M.,**one thousand roads to Mecca** ,Newyork,١٩٩٧,p.١٣٤.

وحين إعتلى جبلا راى منظر التلال المتتابعة على متن النظر دون انقطاع ، ووفقاً لوصفه فإن أبنيتها كانت عادية بدون أى لمسة جمالية [١] .

كما ذكر بتس أن هناك أربع قوافل تتقاطر إلى مكة ؛ وبذلك فإن بيتس كان أول أوري يصف قوافل الحج الأربعة ومكانة أمير الحج والظواهر التي تميز كل قافلة والطرق لتى تسلكها [٢] .

وتفصيل ذلك : القافلة المصرية مع كسوة الكعبة والقافلة التركية عبر تركيا والأناضول ودمشق ، والقافلة الهندية من جزر الهند الشرقية وبضائعها الثرية المتنوعة ، والقافلة المغربية براً إلى مصلا ، وتتوقف فى كل مدينة لتجمع الحجاج ، وكان يتم إستقبالها بالتهليل وقرع الطبول ، كما كان النساء يخرجن من الشرفات يهللن ويزغردن ، ولم يخفى دهشته وتساؤلاته بأنه كيف لمدينة صغيرة مثل مكة أن تستوعب هذه الأفواج الهائلة من الحجيج [٣] .

ثم تعرض لأهل مكة حيث وصفهم بالبائسون أجسادهم نحيلة يعتريها الضعف داكنو البشرة، وأن مناخ مكة المكرمة شديد الحرارة وأن أهلها ينتقلون من مكان لآخر بحثا عن الظل ، وأن سكانها وخاصة الرجال ينامون عادة على أسطح المنازل أملاً فى تلقى نسمات الهواء أو فى الشوارع والبعض يضع فراشاً فوق حصير رقيقة أمام منازلهم ويرشون أرض الشارع بالماء قبل وضع فراشهم للنوم وانه هو شخصيا كان ينام فى الهواء الطلق ويقوم برش الماء على قطعة قماش مصنعة من الكتان ثم ينام فوقها وعندما تجف يقوم برشها مرة أخرى وذلك للتغلب الى الحرارة الشديدة ، كما أشار الى بعض أنواع الفاكهة الموجودة فى مكة مثل العنب والبطيخ والشمام والخيار والقرع الذى كان يتم جلبه من بلاد الحبشة.[٤]

وتعرض أيضا الى الجبل الذى حمل اليه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام عن طريق جبريل عليه السلام وشق صدره وأخرج منها مضغة سوداء تمثل الفساد ثم أغلق صدره وأخبرنا بيتس أنه ذهب الى هناك وقام باداء الصلاة ركعتين.[٥]

---

(١) جوزيف بيتس: رحلة الحاج يوسف، ص ٤٧ راجع أيضا:

Wolf,M.,**one thousand roads to Mecca**, p.١٣٥.

(٢) إسلام عبد الله عبد الغنى غانم : مكة فى الدراسات الاستشراقية دراسة فى أنثربولوجيا الاستشراق لمكة المكرمة

(٣) أغسطس رالى : مكة المكرمة فى عيون الرحالة النصارى ، ص ١٠٢ .

(٤) محمد السريانى و معراج مرزا: **مكة فى عيون غير المسلمين دراسة فى تقييم أهداف وانطباعات ومعارف الرحالة النصارى عن العاصمة المقدسة**، جامعة الكويت ، ٢٠٠٥، ص ٩

(٥) جوزيف بيتس:**رحلة الحاج يوسف**،ص٤٨ جوزيف بيتس:**رحلة الحاج يوسف**،ص٥٢ .راجع أيضا:

Elsner,j.Coleman,S.,**Pilgrimage past and present the world rellgions**, London, ١٩٩٠, p.٧٥.

وأشار إلى حمام مكة الذى لايجرؤ أحد على صيده أو ايذائه وهى تأتى فى أسراب كبيرة إلى الحرم حيث يقدم لها الحجاج عادة الطعام وأن فقراء مكة يبيعون للحجاج الحبوب من أجل اطعام الحمام الذى لايطير أبدا فوق الكعبة .[١]

الكعبة المشرفة عند جوزيف بيتس:

أشار الى ان الكعبة قائمة وسط المسجد الحرام ارتفاعه حوالى أربع وعشرين قدم و مشيده من أحجار ضخمة مصقولة ومغطاه بكسوة من حرير فوق وسطها شريط من حروف من ذهب وبالقرب من الطرف السفلى للكعبة توجد حلقات نحاسية مثبته بها تمر منها أحبال قطيفة تربط بها الأطراف السفلية للكسوة وعتبة باب الكعبة مرتفعة وباب الكعبة مغطى كله بالفضة وستارة معلقة عليه تصل للارض.[٢]

أما بالنسبة لكسوة الكعبة فكان يتم إعداد كسوة جديدة كل عام فى القاهرة بأمر من السلطان العثمانى وتكون الكسوة محملة على جملين ويتم تقبيل الجمال التى تحمل الكسوة ولا يتم تحميله باى شيء اخر أو تكليفهم باى عمل ويتم إرسال الكسوة بفرح غامر وعندما تصل يكون فى استقبال الموكب شريف مكة الذى يأخذ الكسوة القديمة وتكون تحت تصرفه الخاص.[٣]

أما الاراضى المحيطة بالكعبة فحسب وصفه أنها مرصوفة بالرخام وهى المنطقة التى يمارس فيها الحجاج الطواف وفى كل جانب من جوانب الكعبة بنيت أربعة غرف صغيرة وعلل بنائها بنائها أن المسلمون ينقسمون الى أربعة مذاهب ، وعلى بعد اثنى عشر خطوة من الكعبة يوجد مقام ابراهيم ويحيط به شبكة حديدية ومغطى بكسوة مزركشة كما أشار بئر زمزم والماء المتدفق منه وان الحجاج يعتبرونه مقدس أما بالنسبه له فهو ماء مثل أى ماء.[٤]

ويرى الباحث أن ذلك كلام مغلوط من بتس يرجع إلى حنقه وكرهه للإسلام رغم إسلامه الظاهرى .

أما بالنسبه له عندما دخل الكعبة المشرفة فذكر أن المطوف استقبله هو وسيده ومعه الحجاج فتوضأ الحجاج قبل الدخول الى البيت الحرام من باب السلام وحين رأى

---

(١) Crichton,A.,**History of Arabia ancient andmodern**, ٢vols, vol. ٢, Edinburgh,١٨٥٤, p.٢٠٨.

(٢) جوزيف بيتس:**رحلة الحاج يوسف**،ص٥٢ راجع أيضا:

Auchterlone, **encountering Islam joseph pitts**,p.

(٣) جوزيف بيتس:**رحلة الحاج يوسف**،ص٥٣ .

(٤) جوزيف بيتس:**رحلة الحاج يوسف**،ص٥٣ .

راجع أيضا:

Peters,F.E.,**Mecca a literary history of the Muslim holy land** ,Princeton university press, ٢٠١٧, pp. ١٨٠-١٨٢.

الحجاج الكعبة رفعوا أيديهم وكانوا يردودون وراء المطوف مايقوله ويجهشون بالبكاء وطاف الحجاج سبعة أشواط يقبلون الحجر الاسود فى كل شوط ويعتقدون أن قبلتهم هى التى أحالت لونه الى السواد نتيجة لكثرة ذنوبهم وحين يفرغون من الطواف يركعون ثم تحدث عن السعى بين الصفا والمروة فيجرون فيه من بداية الشارع تاى نهايته ولا حظ أن المسلمون حين يدخلون الحرم يقومون بأداء ركعتين عن كل جانب من جوانب الكعبة الاربعة ، وقد هاله الحجاج من كثرتهم وأفاض فى وصف مشاعر الحجاج الجياشة عندما توجهت انظارهم الى الكعبة المشرفة وأغرقت عيونهم بالدموع ، ثم الطواف بالكعبة سبعة أشواط ثم الصلاة ركعتين والهرولة بين الصفا والمروة[١]

ويروى بتس أيضاً ما شاهده من ماء المطر الذى يتدفق على سطح الكعبة كقطرات الندى من السماء ، ومن شدته كان الحجاج يتدافعون ليأتوا تحته يشربوا منه ويجمعوه فى زجاجات فارغة ليبيعوه ، ونرى أن بتس أخطأ فيما يتعلق ببيع ماء المطر ، حيث لم يرد ذلك فى أى من المصادر المعاصرة ، ولكن على الأرجح كان هذا التجميع من أجل الشرب .

وفى ذات الإطار فقد وصف بتس الحجاج بأنهم شديدوا الحماس عملوا على استغلال وقتهم فى مكة المكرمة للعبادة وقضوا كل أوقات فراغهم فى الطواف حول الكعبة ،ثم تثبيت الحجر الأسود فى أحد أركان الكعبة بسياج من الفضة ويتقدم الحجاج نحو هذا الحجر يقبلونه ثم يطوفون سبعة أشواط ويقول أن الحجر الأسود كان يسمى الحجر الأسعد أى الأبيض وأنه أسود من خطايا البشر، وأن الحجاج ينتظرون أيام وأسابيع بل شهور لكى يطوف حول الكعبة لان أى شخص سيطوف سيحظى بدعوة مستجابة[٢]، وبذلك فلم تسلم مناسك الحج من الادعاءات والمبالغات التي تتم عن حقد وعدم فهم، حيث وصف بتس مناسك الحج بالخرافات، وأن السعي بين الصفا والمروة ما هو إلا مشي بين طرفي طريق، وكل ما ذكره عن انتظار الحجاج غير صحيح فكل مسلم يعلم أن الحج أيام معدودات يرحل بعدها الحجاج إلى أوطانهم فكيف لا يتمكنون من الطواف وهو ركن من أركان الحج [٣].

---

(١) جوزيف بيتس:رحلة الحاج يوسف،ص٥٠ راجع أيضا

Peters,**Mecca aliterary history of the Muslim holy land**, p. ١٨٧; Crichton, **history of Arabia ancient and modern**,p.٢١١.

(٢) Pitts,J.,**An account by joseph of his journey from Algiers to Mecca and Madina and back**,London,١٩٢٠,pp.٣٠–٣٣.CF.also: Peters,/Mecca a literary history of the muslim holy land,p.٢١٣.

(٣) نبيل عبد الجواد سرحان : بحوث في تاريخ شبه الجزيرة العربية ، ص ١٦١ والتي تليها .

وحسب الوصف الشاذ لجوزيف بيتس أن حماس الحجاج بأنه حماس وثنى وان مناسكهم خرافات وان دل ذلك على شيء فيدل على ان اسلامه ليس عن اقتناع بل هو عبارة عن تمثيل من أجل الوصول لأغراض معينة.(١)

كما يصف أهل مكة بانهم ذو أجسام نحيلة وبنية ضعيفة وبشرة داكنة وكان لحرارة الشمس الشديدة نصيب وافر من شكوى بيتس حيث أنه ولد فى بلد لاترى الشمس إلا نادرا.(٢)

ثم وصف الكعبة حيث كان الحجاج يتجمعون تحت الباب لتلقى ماء زمزم الخارج من الكعبة بعد غسلها اعتقادا أنه بركة ، ثم يتحدث عن صحن المسجد ويقول إن فيه غرفاً ومقامات لأئمة الصلوات من المذاهب الأربعة، كما قام بعمل خريطة مفصلة تعتبر أول خريطة للمسجد الحرام وتحدث عن ماء زمزم حيث كان يستخدمون الماء فى الشرب والاغتسال(٣)

أما بالنسبة لجوف الكعبة فكان من حظه الطيب أنه نجح فى الدخول لجوف الكعبة وعند الدخول لجوف الكعبة قام بصلاة ركعتين فى كل ركن من أركان الكعبة.(٤)

المسجد الحرام عند جوزيف بيتس:

يبلغ عدد أبواب المسجد الحرام اثنان وأربعون باب ، كل الأبواب مفتوحة وتفضى الى ممرات عديدة مغطاه بالحصى ماعدا بعض الممرات التى رُصفت بأحجار عريضة وهى الممرات المؤدية إلى الكعبة المشرفة وتوجد بجانب الأروقة غرف صغيرة أو خلوة خاصة لمن وهبوا حياتهم للقراءة والدراسة والتعبد وتشبه اليوم طائفة الدروايش الذين يعيشون حياة الزهد وعلى الصدقات ويرتدون عباءات صوفية بيضاء وغطاء رأس طويل من صوف أبيض.(٥)

ثم قام جوزيف بيتس بأداء مناسك الحج وكتب واصفا يوم عرفة " لم يكن فى وسعى إلا التعبير عن إعجابى لرؤية أولئك الناس الفقراء فى خشوع شديد وهيام عميق

(١) جوزيف بيتس:**رحلة الحاج يوسف**،ص٥٤ راجع أيضا مقال **مستشرقون تسللوا الى مكة والمدينة فاتكشفوا**، العدد ٥٤٤، ديسمبر ٢٠١٦م.

(٢) جوزيف بيتس:رحلة الحاج يوسف،ص٤٩ .

(٣) Pitts,J.,**An account by joseph of his journey from Algiers to Mecca and Madina and back**,London,١٩٢٠,pp.٣٣-٣٥.CF.also:Childress hatcher, D., **Last cities ancient mysteries of Africa Arabia**, U.S.A, ٢٠٠٢, P.٢٠٠.

(٤) جوزيف بيتس:رحلة الحاج يوسف،ص٥٥ راجع أيضا:عبد العزيز ابراهيم :روايات عربية عن رحلات غربية الى الجزيرة العربية،ص

(٥) Pitts,J., **A true and faithful account of the religion manners of the Mohametans ,relation of their pilgrimage to mecca**, London. ١٧١٧, p.١٥٤.

بدينهم فقد كانوا يرتجفون من الخشية والرهبة ملكتهم حتى اننى لم أتمالك نفسى من البكاء فذرفت عيناى من الدمع وأنا أراهم بهذه الحماسة العمياء" .[١]

ولقد تاثر جوزيف بيتس بالشعائر الدينية على جبل عرفات وقال لقد كان حقاً مظهر يهز القلوب فترى آلاف الناس فى لباس من الذلة والزهد بالحياة ، برؤوسهم العارية وقد سالت الدموع على خدودهم فتسمع ندبهم ونشيجهم المحزن وهم يبكون ويتوسلون ويتضرعون بك اخلاص من أجل مغفرة ربهم.[٢]

وبعد الانتهاء من الوقوف بعرفات ينفر الحجاج إلى المزدلفة بعد نصف ساعة من مغيب الشمس حيث يقضون الليل فان أصبحوا انصرفوا الى منى وهو المكان الذى ذهب اليه ابراهيم ليضحى بإبنه اسماعيل وذكر أنه رأى حجرا قال أن الله وجه اليه يد ابراهيم بدلا من قتل إبنه فذهبوا وجمعوا أحجارا لرجم الشيطان، وبعد الانتهاء من رمى الجمرات يقوم الحجاج بذبح الاضحية ويوزعون لحومها على الفقراء ثم ينخرطون فى اللهو والألعاب لأن ذنوبهم قد غفرت ويقضون أيام عيد الاضحى فى سعادة بالغة فضمنوا الجنة بعد وفاتهم لأن ذنوبهم قد غفرت[٣] .

المدينة المنورة عند جوزيف بيتس:

يصف بيتس المدينة المنورة حسب رؤيته ، فبعد الانتهاء من تأدية شعائر الحج تتجه القافلة إلى المدينة المنورة ويصف بيتس المدينة قائلاً المدينة ليست إلا بلد بائسة يحيطها سور ويقصد بذلك صغر حجمها بالنسبة لمكة المكرمة ويضيف بأن المدينة المنورة يوجد بها مسجد لا يقارن بالحرم المكى وفى أحد أركانه مبنى مساحته حوالى أربع عشر أو خمسة عشر خطوة مربعة به نوافذ ضخمة مغطاه بشباك نحاسى ولابد ان يكون هذا المبنى هو الحجرة النبوية ويضيف وداخل هذا المبنى مصابيح وزينات ويبلغ عدد المصابيح مئة مصباح ولا يسمح للحجاج بالدخول اليه انما الدخول مقصور فقط على الطواشية وتكون مهمتهم قاصرة على الاشراف على الاماكن وتنظيفة وإضاءة مصابيحة.[٤]

ولكن من الغريب أنه يذكر أنه راى قبراً تم إعداده لنبى الله عيسى بن مريم عندما يعود فى آخر الدنيا ، ويرى الباحث أن بيتس قد حاد عن الصواب فى ذلك فإنه لم

(١) جوزيف بيتس:رحلة الحاج يوسف،ص٦١

(٢) Pitts,J., A true and faithful account of the religion manners of the Mohametans ,relation of their pilgrimage to mecca, p.

(٣) Pitts,J.,An account by joseph of his journey from Algiers to Mecca and Madina and back,London,١٩٢٠,pp.٥٧-٥٩.

(٤) جوزيف بيتس:رحلة الحاج يوسف، ص٧٢ .

يكن هناك من الأساس قبر آخر إنما كانت رغبته فى عقلى الباطن وإن دل ذلك على شيئا انما يدل أن إسلامه ظاهريا .

وتناول بعض ذلك تجار المدينة المنورة فقد ذكر أن بضائع المدينة المنورة تاتى من بلاد الحبشة فى سفن محملة بالقمح عبر البحر الأحمر .

رحلة العودة :

غادر بيتس القافلة براً إلى مصر عبر الطريق المحاذى لساحل البحر الأحمر ويذكر أنه أثناء رحلة العودة توقف فى أحد المحطات وتقابلوا مع بعض البدو وقدموا لهم كميات وافرة من الفاكهة خاصة الزبيب ولا يعرف من أين أتوا بها لكن يبدو أنهم توقفوا بجوار إحدى القرى أو الواحات التى تكثر فيها زراعة الفواكة ومن المشاكل التى ذكرها جبل عقبة شديد الإنحدار حيث قال " وصلنا إلى جبل شديد الانحدار يسمى عقبة عادة مايهاب الحجاج تسلقه وقد تعبت الجمال البائسة عند إجتيازه وسقط كثيراً منها هناك فرحنا نحثها على المسير لكنها كانت تتحرك ببطء شديد بل وتتوقف غالبا ولما وصلنا للقمة لم نر إلا سهلا.[١]

تصل قافلة الحج الى القاهرة وهناك يتم استقبالها من قبل الآلاف من الأهالى وهم مبتهجين بعودة الحجاج وقد استغرقت رحلة العودة أربعين فيها ثلاثة أيام توقف وعن ذلك يقول وطوال الطريق فى شبه الجزيرة العربية لم نر زروعا وخضراً إلا قليلا ولا وصل الى اذاننا تغريد الطيور ولا راينا حيوانا باستسناء قرية عبرنا منها ليلا كان بها بعض الأشجار والبساتين.[٢]

وينزل الحجاج المصريين فى مصر وتواصل القافلة بحجاجها الجزائريين الى الجزائر عبر ميناء الاسكندرية لتستقل سفينة جزائرية حتى تتفاجىء ببلاء داهم قد استقر فى المدينة وبسط رداءه عليها إلا وهو مرض الطاعون فانتشر الطاعون بينهم كالنار فى الهشيم و شفى البعض وتم إلقاء حوالى عشرين جثة وهى جثث من ماتوا بسبب هذا الوباء.[٣]

وقد ذكر أنه أصيب هو شخصيا بمرض الطاعون واستطاع أن يمرض نفسه من خلال إحدى وصفات الطب الشعبى حيث كان يشوى بصلة على النار ثم يغمسها فى

---

(١) جوزيف بيتس: رحلة الحاج يوسف،ص٧٤ .

(٢) Pitts,J.,An account by joseph of his journey from Algiers to Mecca and Madina and back,pp.٤٥-٤٨. CF.also: Peters,/Mecca a literary history of the muslim holy land,p.٢٢٢.

(٣) Pitts,J., A true and faithful account of the religion manners of the Mohametans ,relation of their pilgrimage to mecca,p.

الزيت ويضعها على الدمامل التى سببها هذا المرض بالاضافة الى أن سيده قد ساهم أيضا فى علاجه [١] .

وفى الاسكندرية وجد مركبًا إنجليزياً ووجد ضمن ركابه وجد أحد أصدقائه منذ الصبى فأرسل غليونا تركيا لوالده وقطعة من الحرير لوالدته ، أما عن جوزيف بيتس فقد ذكر أن سيده عامله معاملة طيبة و أحسن معاملته وأوصى له بمبلغ كبير ينتقل إليه فى حالة وفاة سيده وكان بيتس يمنى نفسه بالعودة إلى بلاده مرة أخرى وقد جاءت الفرصة إليه حين طلب السلطان العثمانى من الداى الجزائرى امدادات من السفن والمتطوعين فسمح له سيده بالتطوع وحين وصل المركب الذى كان فى طريقه من أزمير إلى الاسكندرية حيث هرب جوزيف عبر سفينة فرنسية ثم اتجه الى ايطاليا فالمانيا فهولندا ونهاية انجلترا ، وقد وصل جوزيف بتس إلى اكستر عام ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣م ، وعندما وصل كان والده على قيد الحياة بينما توفيت والدته قبل قدومه بعام ، وفى النهاية فقد توفى عام ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م [٢] .

ومن الجدير بالذكر فقد قرر بتس أن يكتب عن رحلته منذ أسره حتى وصوله مرة أخرى إلى بلاده واختار له عنوان طويل جاء فى بدايته " سرد صادق أمين لدى المحمدين وأخلاقهم يضم بنحو خاص ما يتصل بحجهم إلى مكة ومكان مولد محمد ووصف المدينة وقبره فيها ... " [٣] .

---

(١) جوزيف بيتس:رحلة الحاج يوسف،ص٧٥ .

(٢) أغسطس رالي : مكة المكرمة فى عيون الرحالة النصارى ، ص ١٠٣ .

(٣)عبد العزيز ابراهيم :روايات عربية عن رحلات غربية الى الجزيرة العربية، ص ١٠١ .

الخاتمة :

مما تقدم نرى أن جوزيف بتس قد حرص على دراسة البيئة الجغرافية لمكة المكرمة وحرص على الإشارة إلى أنواع الفاكهة المنتشرة فى مكة المكرمة .

وانفرد بتس بالحديث عن ظاهرة قطاع الطرق الذين دأبوا على مهاجمة حجاج مكة ، وطالب السلطات المسؤولة بوضع حد لهذه الظاهة التى تروع حجاج البيت الحرام .

انجذبت عيناه إلى مشهد الحجاج وهم واقفون على جبل عرفات وهاله الحجاج من من كثرتهم وأفاض فى وصف مشاعر الحج الجياشة .

انفرد بعمل دراسة إحصائية متميزة عن الكعبة المشرفة على عكس فارتيما الذى سبقه بالذهاب إلى مكة المكرمة .

ومن المآخذ التى سجلت عليه أنه رغم إعجابه بمشاعر الحج الجياشة عند دخول الكعبة إلا أنه وصف هذا الحماس بأنه حماس وثنى يشبه عبدة الأصنام مما يدل على عد دخوله الدين الإسلامى مقتنعاً وأن إسلامه وقتى الهدف منه دراسة أحوال المسلمين وعقد المقارنات مع الديانات الأخرى .

على أية حال تعد رحلة جوزيف بتس إلى شبه الجزيرة العربية صفة جديدة من أحوال بلاد الحجاز عامة ومكة المكرمة والمدينة المنورة خاصة ، وذلك فى القرن السابع عشر الميلادى / الحادى عشر الهجرى .

مراجع الدراسة:

ابن فارس:

معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

ابن منظور:

لسان العرب ، إعداد يوسف خياط دار لسان للنشر ، بيروت ، ١٩٧٠م .

أبو القاسم سعد الله

تاريخ الجزائر الثقافى ١٥٠٠- ١٨٥٠ م ، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٩٨ .

إسلام عبد الله عبد الغنى غانم :

مكة فى الدراسات الاستشراقية دراسة فى أنثربولوجيا الاستشراق لمكة المكرمة ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، المجلد ٩ ، العدد ٣ ، ديسمبر ٢٠١٨ .

أغسطس رالي :

مكة المكرمة فى عيون الرحالة النصارى ، ترجمة : حسن غزالة ، الرياض ، دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

الزبيدي :

تاج العروس ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٧م .

جمال حجر :

في مناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان كيف رصد الرحالة الغربيون أهل الجزيرة العربية وهم يتعاملون مع الرقيق ، مجلة تراث ، إبريل ، ٢٠٠٩ .

جوزيف بيتس:

رحلة الحاج يوسف الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة ترجمة عبد الرحمن الشيخ الهيئة العامة للكتاب،١٩٩٥ .

صالح بن محمد المطيري :

رحلة جوزيف بتس إلى الحجاز مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة . سبتمبر – نوفمبر ٢٠٠٣ .

عبد العزيز ابراهيم:

روايات عربية عن رحلات غربية الى الجزيرة العربية ١٥٠٠-١٨٥٠م،دار الساقى،٢٠١٣م.

على بن إبراهيم النملة :

المستشرقون من الانعتاق إلى الاعتناق " دراسة فى إعلان بعض المستشرقين إسلامهم " ، بيرسان ، الرياض ، ٢٠٢٠

فايز نجيب إسكندر :

القاهرة زمن المماليك الجراكسة في عيني الرحالة الألماني أرنولد فون هارف دار النهضة العربية،٢٠١١م .

مصر فى كتابات الحجاج الروس في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين،دار الفكر الجامعى، ١٩٩٨ .

محمد السريانى و معراج مرزا:

مكة فى عيون غير المسلمين دراسة فى تقييم أهداف وانطباعات ومعارف الرحالة النصارى عن العاصمة المقدسة،جامعة الكويت ،٢٠٠٥ .

محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف :

المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ٢٠٠٠ .

مصطفى دويدار :

الأمراء الطواشية فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول ، دار العالم العربى ، القاهرة ، ٢٠١٥ .

نبيل عبد الجواد سرحان :

بحوث في تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، التركى للطباعة ، ٢٠١٤ .

المراجع الأجنبية :

Auchter,P.,

Encountering Islam Joseph pitts an English slave in ٧th century Algiers and Mecca,London,٢٠١٢.

Crichton,A.

,History of Arabia ancient andmodern,٢vols,vol.٢,Edinburgh,١٨٥٤

Childress hatcher,D.,

Last cities ancient mysteries of Africa Arabia ,U.S.A,٢٠٠٢

Elsner,j.Coleman,S،.

Pilgrimage past and present the world rellgions,London,١٩٩٠.

Foster,W،.

The red sea and adjacent countries at the close of seventeenthcentury,London.١٩٩٩

Moore,

The penguin encyclopedia of places,Middlesex,١٩٧١

Pitts,J.,

An account by joseph of his journey from Algiers to Mecca and Madina and back,London,١٩٢٠

Peters,F.E،.

Mecca a literary history of the Muslim holy land ,Princeton university press,٢٠١٧

Wolf,M ،.

one thousand roads to Mecca ,Newyork,.١٩٩٧

Varthema,

The travels of ludovico di Varthema in Egypt ,Syria, Arabia desert Arabia flix in Persia ,India and Ethiopia, translated into English by W.,Jones,London,١٩٤٥

Pitts,J.,

An account by joseph of his journey from Algiers to Mecca and Madina and back,London,١٩٢٠